المبحث السابع

هضبة الدكـن

لا يوجد دليل على ان سكان هارابا تمكنوا من الاستيطان في المناطق الجنوبية الشرقية من شبه القارة الهندية ولكن حضارتهم نقلت عـلى يـد بعض المهاجرين أو اللاجئين فساهموا في نشرها في هذه المناطق فحافظوا بهذه الطريقة على تقاليدهم القديمة في اوطانهم الجديدة · وعلى سبيل المثال نذكر بهذا الخصوص الآلات والادوات النحاسية التي وجدت مخزونة في حوض الكنج بمنطقتين رئيسيتين الاولى في الكنج الاعلى ووديان جمنا Jumna والثانية حول هضبة رانجي(١٣) Ranchi في بيهار Bihar والى أقصى الجنوب في أوريسـا Orissa وتطـابق كل واحـدة من هاتين المنطقتين مراكز صناعة النحاس الاولى · وبالرغم من ان هذه الآلات والادوات تمثل مدرسة صناعية متفرعة من مدرسة هارابا لصنع المعادن فان النماذج التي وجدت في الكنج تستعرض اختلافات وفروقا واضحة فهناك مثـلا فؤوس مسطحة لهـا حافات حادة عريضـة تصلح للقطع وهنـاك آلات جديدة كحراب الصيد المسننة من جانبين ولا شك في ان صيادي الحيوانات قد صنعوا هذه الحـراب من مواد قابلة للفنـاء · وبالاضـافة الى هذه الآلات وجدت اواني فخارية ملونة باللون الاحمر تشبه في صناعتها الاوانـي الفخارية التي وجدت في وضع طباقي سليم اسفل الاواني الفخارية الرمادية في موقع هاستينابور Hastinapur القروي بشمال شرق الهند · ويظهر ان المستوطنات التي كانت تشغل المنطقة الواقعة بين جامبـال Chambal العليا في الشمال وحوض كودافرى Godavri في مالوان Malwan في القسم الغربي من شمال الدكن قد سـاهمت في ادخال التعديلات على بعض عناصر حضارة هارابا ولو انها كانت تعيش في مستوى

Scanned by CamScanner

ادنى تقارب فيه مستوى قرى الهضاب في بلوجستان . وقد وجدت آثار قريبة الشبه باثار هارابا في موقع ماهسفار(١٥) Mahesvar في وادي نارادا Narbada بشمال الدكن وتعود هذه الاثار بتاريخهـــا حسب طريقة كربون ١٤ الاشعاعي لحوالي عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ويبدو ان هذه الحضارة بلغت نهايتها عند انتشار الآلات الحديدية في الفترة ما بين عام ٥٠٠ـ٤٠٠ قبل الميلاد وتبين من المخلفات الاثارية ان سكان ماهسفار كانوا يسكنون في بيوت يشيدونها بالخشب أو القصب أو الطوف . وكانت الاتهم الحجرية المصنوعة من الصوان نصالا حادة استحضرت من نواة حجرية على غرار مثيلاتها في هارابا وقد وجدت بين مخلفاتهم آلات دقيقة صغيرة الحجم حادة ولكنها بسيطة في اشكالها واستخدمت هذه الآلات في اغراض كثيرة اهمها القطع . واستعمل القوم النحاس ولكن على نطاق ضيق وكانت اوانيهم الفخارية ذات طينة حمراء وملونة بلون اسود وذات نقوش نباتية وحيوانية وادمية . وقد صنعوها على الدولاب واحتوت وسائل الزينـــة الشخصية وخرزا من العقيق والفيروز واللازورد .

ويشاهد الانسان اثارا لحضارات اقل تعقيدا وفي مستويات ادنى كلما اتجهنا جنوبا ففي المنطقة الممتدة بين حوض كستنا Kistna الى كافرى Kavri في الدكن ازدهرت صناعة الفؤوس الحجرية في جنوب الهند وقد وجدب آلات هذا الطراز الهندي الجنوبي لاول مرة في وضـع طباقي سـليم في براهما كيري Brahmagiri (١٦) وتميزت هذه الفؤوس بنهاية حادة ويبدو انها صنعت في الاماكن التي يتوفر فيها الحجر وكانت في باديء الامر تصنع من قبل مزارعين بدائيين لا دراية لهم بصنع الفؤوس البرونزية وقد استعمل هؤلاء الفلاحون تلك الفؤوس لقطع الاخشاب ولتنظيف الغابات تمهيدا لزراعتها . وكان النحاس نادرا جدا والاواني الفخارية تصنع باليد لا على الدولاب . ومن الناحية الثانية تشبه النصـــال الحجرية والآلات الحجرية الصغيرة الحجم جدا Microliths التي وجدت في هذه المناطق

Scanned by CamScanner

مثيلاتها في المناطق المتاخمة لمراكز انتشار آلات هارابا الحجرية في العصر الحجري المعدني . ويبدو من النقوش المحفورة على الصخور التي تحيط في بعض اماكن المستوطنات التي استخدمت الفؤوس الحجرية ان السكان كانوا يمارسون صيد الحيوانات والاسماك ويهتمون برعي الابقار ذات القرون الطويلة والظاهر ان اصحاب الفؤوس الحجرية في الدكن احتلوا المنطقة المتاخمة للمنطقة الزراعية التي اجتاز اصحابها مرحلة العصر الحجري المتوسط حيث كان السكان الاصليون من شبه القارة الهندية يمارسون الصيد وقد ساد استعمال هذه الفؤوس الى ان حلت محلها الفؤوس الحديدية في نهاية الالف الاول قبل الميلاد .

ونلاحظ في مخلفات العصر الحجري الحديث استمرارا لتواجد الاثر المزدوج لحضارات جنوب غرب آسيا وحضارات جنوب شرق آسيا فالآلات الحجرية من هذا العصر التي عثر عليها في جنوب الهند وشرقها تمتاز بوجود اعداد كبيرة من اشكال مختلفة من الفؤوس مع ندرة وجود الشظايا الحجرية ومعظم اشكال الفؤوس يشبه ما اكتشف في جنوب غرب آسيا ونلاحظ في ادوات العصر الحجري الحديث التي عثر عليها في جنوب شرق الهند ومن ضمنها الاواني الفخارية ارتباطا كبيرا بجنوب غرب آسيا فقد عثر في مقاطعة مدراس في جنوب الهند على مخلفات كثيرة تعود للعصر الحجري الحديث وتبين من دراستها امتداد تأثير حضارة العصر الحجري الحديث الغربية الى الجنوب الشرقي . ويعتبر التقدم الكبير في بناء المنشآت الميكاليثية البارزة في جنوب الهند في الفترة التي تبدأ من العصر الحجري الحديث وحتى فجر العصور التاريخية ظاهرة واضحة في اثار الهند في عصور قبل التاريخ ويقال ان هناك حوالي ربع مليون موقع اثري في هضبة الدكن وحدها تحتوي على دوائر حجرية أو احجار قائمة وأخرى منبسطة تشبه المنضدة هذا بالاضافة الى القبور المحفورة في الصخر . ونلاحظ ان هذه الاثار شيدت باحجار سويت جوانب بعضها وترك البعض الآخر على طبيعته ونلاحظ ان القبور كانت تحتوي هياكل عظم بشرية مما يدل على أن عادة حرق الجثث لم تكن معروفة آنذاك . وقد وضع الناس مع الموتى بعض الاواني الفخارية

Scanned by CamScanner

الخشنة الصنع كما وضعوا معهم مجموعة من ادوات الزينة المصنوعة من الحجارة وبعض الاسلحة • وفي أواخر العصر الميكاليثي وضعت في القبور بعض الادوات المعدنية بكميات كبيرة وكان النحاس والبرونز والذهب والحديد مختلطة ببعضها في تلك القبور • ومن المرجح ان صناعة الادوات المعدنية قد وصلت الى جنوب الهند وجنوب شرق آسيا بعد ان تم تطورها في شمال غرب الهند • ومن المرجح ايضا ان الهنود من اهل الجنوب قد ادخلوا تحسينات على طرق من علموهم صنع الادوات • ويبدو ان الزراعة كانت تمارس في الجنوب منذ زمن بعيد وقد امكن التعرف على الرز بين بقايا الطعام التي وضعت في القبور • ونظرا للاتصالات الحضارية مع سكان جنوب شرق آسيا يرجح ان يكون اهل الجنوب قد زرعوا المحاصيل الجذرية والفواكه التي كانت تزرع في حضارة جنوب شرق آسيا • ويعتبر وجود المقابر الجماعية الطريق الوحيد الذي يدلنا على شيء من التنظيم الاجتماعي لديهم اذ ان استخدام القبور نفسها لفترات طويلة ولحالات دفن متكررة بالاضافة الى الآثار الميكاليثية الضخمة تحتاج الى ايادي عاملة كثيرة ومنظمة كانت في الغالب مرتبطة ببعضها برابطة القرابة •

وفي اقصى الجنوب من شبه القارة الهندية وبصورة خاصة في سيلان حافظ صيادوا الحيوانات والاسماك على نمط معيشتهم حتى في العصور التاريخية المبكرة • واستمر هؤلاء في استخدام السهام من الاحجار الدقيقة المسننة الحادة جدا وكان اغلبها من حجر الكوارتز • وبالرغم من ان الفؤوس الحجرية المصقولة لم تصل الى هذه المنطقة فان بعض السكان عرفوا صناعة الاواني الفخارية وعلى سبيل المثال سكان الروابي في بيلان باندى بالاسا(١٧) Bellan Bandi Palassa في جنوب جزيرة سيلان ويعود تاريخ هؤلاء حسب طريقة كربون ١٤ الاشعاعي الى بداية العصر الميلادي •

Scanned by CamScanner